جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية

الندوة العلمية: العتبات النصية؛ بين الإبداع والتلقي

المحور الرابع: العتبات النصية والتلقي في النقد العربي والجزائري.

عنوان المداخلة:

حضور التراث في خطاب العتبات في الرواية الجزائرية المعاصرة.

د. سعاد بوقطاية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص:

راهنت الرواية الجزائرية المعاصرة على خلق حداثة سردية متميزة من خلال ارتياد آفاق إبداعية مغايرة للسائد والمألوف، واستحداث أساليب فنية جديدة قادرة على إنتاج متخيل سردي متفرد، يعبر عن الحاضر بقوة مستوعبا كل تحولاته، ويمتد إلى الماضي مستلهما تراثه وأسراره، باحثا في التاريخ وحقيقته، وقد كان الالتفاف إلى العتبات النصية أهم رهانتها السردية، إذ مثلت مصدر إغراء وإثارة للمبدع والقارئ معا.

تندرج هذه الورقة البحثية في إطار السعي إلى استجلاء تمظهرات التراث بكل أشكاله ضمن خطاب العتبات من خلال البحث في مجموعة من الروايات الجزائرية المعاصرة التي آثرت إثبات تميزها وخصوصيتها من خلال الاستعانة بالتراث ضمن عتباتها النصية، جاعلة منه وسيلة لتمرير رسائلها وطرح تصوراتها حول قضايا الماضي والحاضر، وكذا محاولة ترسيخ الهوية الثقافية والحضارية أمام تزايد التحديات الراهنة التي تفرض نفسها بالقوة.

الكلمات المفتاحية: العتبات، التراث، الرواية، الجزائرية، المعاصرة

Summary:

The contemporary Algerian novel has bet on creating a distinct narrative modernity by exploring creative horizons that are different from the prevailing and familiar, and creating new artistic methods capable of producing a unique narrative imagination that expresses the present powerfully, absorbing all its transformations, and extending to the past, drawing inspiration from its heritage and secrets, searching into history and its truth. Turning to the textual thresholds was its most important narrative bet, as it represented a source of temptation and excitement for the creator and the reader together.

This research paper falls within the framework of the effort to clarify the manifestations of heritage in all its forms within the discourse of thresholds by researching a group of contemporary Algerian novels that have chosen to prove their distinction and specificity by using heritage within their textual thresholds, making it a means to pass on their messages and present their visions about the issues of the past and present, as well as trying to establish the cultural and civilizational identity in the face of the increasing current challenges that impose themselves by force.

Keywords: thresholds, heritage, novel, Algerian, contemporary

مقدمة:

تغيرت آليات التشكيل الروائي منذ منتصف القرن العشرين، حين بدأت تظهر بوادر توجهات فنية حداثية، حاولت تخليص الكتابة الروائية من قيود الأنساق والقوالب التقليدية الجاهزة، وسعت إلى تأثيثها بتقنيات سردية جديدة ،إذ فتحت الباب واسعا أمام الأشكال التراثية المختلفة في محاولة منها لاستثمار مكوناتها واستكناه مكنوناتها للوصول إلى تفسير الواقع وفهمه وإعادة بنائه ،ومثلما تفطن الروائي العربي إلى أهمية توظيف التراث كذلك « الروائي الجزائري هو الآخر قد نهل بنهم شديد من مخزونه الميثولوجي العام ،وأفاد منه في مرجعياته التراثية الخالدة تلك ،خصوصا منها المتعلقة بالتراث الشعبي ،والتي كان ينتقي منها بعض الوقائع المهمة معتمدا التجربة الإنسانية العميقة ومفيدا من مسيرة الإنسانية كلها»[1].

إلى جانب ذلك فقد راهن المتخيل السردي الجزائري المعاصر على ما تم اقتناصه من الروافد النقدية الغربية كما هو الحال مع مفهوم "**العتبات النصية** "،الذي يعد وجها من أوجه الشعرية الحديثة، إذ بعد أن تشبعت الشعرية بوصف مكونات النص الداخلية باعتباره بنية مغلقة مكتفية بذاتها، يتفطن الناقد الفرنسي الحصيف "جيرار جنيت" إلى أن الدراسات لا تصف كل العناصر التي تشكل الكلية النصية التي من شأنها أن تضمن وصول النص إلى المتلقي وتؤمن حضوره وهويته، لذلك فقد رأى« أنه لا يكفي التساؤل مع ياكبسون، عن تلك العناصر الضرورية التي تجعل من ملفوظ لغوي نصا أدبيا، بل لابد كذلك من التساؤل عن مجموع العناصر التي تجعل من النص كتابات، أي العناصر التي تساند النص و "تصاحبه" في رحلة اكتساب "الحضور" والهوية الثقافية النوعية»[2].

وقد سعى النقد العربي الحديث إلى دراسة ما يحيط بالنص الأدبي من عتبات نصية باعتبارها مفاتيح أساسية تأخذ بيد القارئ لسبر أغوار النص وفك مغاليقه ،فهي المحطة الأولى التي تواجه القارئ وتفتح شهيته للولوج إلى عوالم النص وهي تشمل كل من العناوين ولوحة الغلاف واسم الكاتب والمؤشر الأجناسي والتصدير والاستهلال والإهداء والهوامش وغيرها من الموازيات النصية التي لا غنى للنص الأدبي عنها ،كونها تمنحه حلة جديدة ترصع واجهته من جهة وتمهد الطريق للقارئ لإضاءة متاهاته من جهة أخرى ،وبذلك اكتسب خطاب العتبات أهمية قصوى في بعث الرواية نحو آفاق واعدة كونه أحد الرهانات الأساسية للحداثة الروائية إلى جانب

---

[1]- بلحيا الطاهر: الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا الى ما بعد الحداثة (جذور السرد الغربي) دار الروافد الثقافية: ابن النديم للنشر والتوزيع ط1، 2017، ص 11

[2]-نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص25.

الاهتمام بالتراث الذي أصبح هو الآخر أحد أهم الآليات السردية التي يعول عليها الروائي في منح نصوصه التفرد والتميز، ومن هنا فقد استهوتني دراسة حضور التراث في العتبات النصية في الرواية الجزائرية المعاصرة بالوقوف على أهم تجلياته وكذا كشف وظائفه ومدى مساهمته في إثراء عتبات النص وفتح شهية القارئ لتذوق مضمون هذه النصوص .

وتطرح هذه الدراسة جملة من الإشكالات لعل أهمها:

- ما مفهوم التراث؟ و ما مفهوم العتبات النصية ؟.
- إلى أي مدى تجلى التراث بكل أشكاله في خطاب العتبات النصية في الرواية الجزائرية المعاصرة؟
- وما الدور الذي أداه هذا التوظيف في فك مغاليق هذه النصوص وإثراء دلالاتها ؟.

ونظرا للحضور اللافت للتراث ضمن خطاب العتبات في الرواية الجزائرية المعاصرة مما يجعل الإلمام بكل التجارب الروائية عسيرا يتجاوز ما يسمح به هذا البحث فقد حصرنا مقاربتنا في نماذج روائية محدودة، دأبت على الحفر في التراث وحاولت إعادة تشكيله وفق رؤية جمالية فنية حداثية، بحيث يمكن تجلية عتبة من العتبات ضمن رواية واحدة تمظهرت بشكل واضح فيها.

وسعيا منا للإلمام بهذا الموضوع فقد صغنا البحث وفق منهجية دقيقة تقوم على البحث في مفهوم التراث ومفهوم العتبات، وكذا البحث في تجليات التراث ضمن خطاب العتبات من خلال مختلف العتبات النصية التي تشتمل عليها الأعمال الروائية بدء بالغلاف والعنوان والإهداء وانتهاء بالاستهلال والتصدير و التهميش .

1-تحديد المفاهيم والمصطلحات:

1-1-مفهوم التراث:

أ-التراث لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: « الورث والورث والإرث والوراث والتراث واحد والميراث أصله موراث انقلبت الواو ياء كسر ما قبلها والتراث أصل التاء فيه واو..والتراث والإرث والميراث:ما ورث، وقيل :الورث والميراث في المال.والإرث في الحسب..والتراث ما يخلفه الرجل لورثته،والتاء فيه بدل من الواو»[1].

وتتفق معظم المعاجم اللغوية على أن التراث هو الإرث أو الميراث الذي يتركه الأب لأولاده سواء كان ماديا أو معنويا.

[3]-ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (ورث)، مجلد2، ط1 ،1992م، ص-ص -199-201.

ب-اصطلاحا:

تعددت وتباينت تعريفات التراث من الوجهة الاصطلاحية كونه مفهوم واسع وفضفاض من الصعب الإحاطة بكل دلالاته، فمنهم من عرفه بأنه «كل ما خلفه السلف للخلف سواء ماديا أو معنويا، وبعبارة أخرى هو كل ما ورثته الأمة من إنتاج حضاري أو فكري، أم فيما يتعلق بالإنتاج العلمي والأدب، والصور الحضارية التي ترسم واقع الأمة ومستقبلها وهذا يعود إلى بدء المعرفة الإنسانية للكتابة وبأشكالها وأساليب التعبير وبأنواعها، سواء في المخلفات الأثرية أم في سجل ي وثائق الكتابة»[1]

ويعرفه حسن غزيل، بأنه« كل ما خلفته لنا الأجيال السابقة عن مختلف الميادين: الدينية والأدبية والعلمية والفنية والفكرية وآثار ذلك في أخلاق أمة وسلوكها و عقلياتها ،بمعنى آخر كل ما يرثه الخلف عن السلف من تراث مادي وصوري ونفسي... »[2]،وبالتالي فالتراث هو حصيلة معارف أمة من الأمم ،ومستودع أفكارها وقيمها ،وهو في الوقت نفسه ذخيرة لحاضرها ومستقبلها الذين لا ينبنيان إلا بالارتكاز عليه ،« فالتراث ليس مجرد ماض أو تركة أو مستودع للأفكار والمعارف، بل هو مستوى من مستويات الوعي المعاصر، لأننا لسنا سوى جزء منه، فهو حاضر فينا يستبطن في تكويننا الداخلي، ولا يمكننا القفز عليه، وإلا فقدت أمتنا هويتها و شخصيتها»[3] .

ومن هنا تبرز أهمية التراث باعتباره حلقة وصل بين الماضي والحاضر، ووسيلة عملية لتجديد الواقع ومحاولة فهمه، إذ أصبح التراث بمثابة نقطة ارتكاز تسمح بتدعيم الحاضر وتأكيد الوجود وإثبات الذات.

1-2-مفهوم العتبات:

أ-لغة:

جاء في لسان العرب: «العتبة: أسكفة الباب التي توطأ والجمع عتب وعتبات والعتب الدرج، وعتب الدرج: مرقبها إذا كان من خشب وكل مرقاة منها عتبة وعتب الجبال مراقبها، وتقول: عتّب لي عتبة في هذا الموضوع إذا أردت أن ترقي إلى موضع تصعد فيه وقيل عتّب العود ما عليه أطراق الأوتار من مقدّمه»[4]

---

[4]-إدريس قرقوة: التراث في المسرح الجزائري، دراسة في الأشكال والمضامين، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، ط1، ص28.

[2]-حسن غزيل: إشكالية التراث، مجلة الإتحاف، العدد 72، أكتوبر 1996م، ص25.

[3]-محمد عابد الجابري: التراث والحداثة (دراسات ومناقشات)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،1991م، ص60.

[4]-ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (عتب)، المجلد4، ط1992،1م، ص948.

وجاء في المعجم الوسيط: «يقال عتب البعير ونحوه: مشى على ثلاث قوائم كأنه يقفز، والبرق عتابا، تتابع لمعانه(...) والباب عتبا وطئ عتبته، يقال: وما عتبت باب فلان ومن مكان إلى مكان عتبا، اجتاز وانتقل (...) ويقال: عتب من قول إلى قول(...) والعتبة خشبة الباب الذي يوطأ عليها والخشبة العليا وكل مرقاة جمع (عتب)»[1].

ب-اصطلاحا:

تمثل العتبات النصية العناصر الخارجية المحيطة بالنص ، والتي لايمكن ولوج النص دون المرور عليها فهي الدليل الذي يهتدي بها القارئ لولوج عوالم النص ،وتشمل العتبات كل الجوانب المكملة للنص داخلية وخارجية ،والمتمثلة في الغلاف والعنوان، واسم الكاتب وعناوين الفصول والتصديرات والاستهلالات والهوامش وغيرها من العلامات التي ترشد القارئ وتيسر عليه فك شفرات النص، يعرفه (جيرار جينيت) بقوله: « كل ما يجعل النص كتابا مفتوحا يقترح نفسه على قارئه وبصفة عامة على جمهوره، فهو أكثر من جدار ذو حدود متماسكة، نقصد به هنا تلك العتبة بتعبير(بورخيس) البهو الذي يسمح لكل من دخوله الرجوع منه»[2].

وتتمثل أهمية العتبات في كونها أصبحت لازمة من لوازم النص فقراءته أصبحت مشروطة بقراءتها، فهي التي تمسك بزمام المتن وتوجه دلالاته، إذ هي «علامات دلالية تشرع أبواب النص أمام المتلقي/ القارئ وتشحنه بالدفعة الزاخرة بروح الولوج إلى أعماق النص لما تحمله هذه العتبات من معان وشفرات لها علاقة مباشرة بالنص، تنير دروبه، وهي تتميز باعتبارها عتبات لها سياقات تاريخية ونصية ووظائف تأليفية تختزل جانبا مركزيا من منطق الكتابة»[3].

يمكننا الإشارة –أيضا-إلى أن مفهوم العتبات له عدة مصطلحات من قبيل «خطاب المقدمات، عتبات النص، النصوص المصاحبة، المكملات، النصوص الموازية، سياجات النص، المناص...إلخ»[4]، وكلها مسميات لحقل معرفي واحد يهتم بمجموع النصوص المصاحبة والمحيطة بالمتن التي توجد على صفحة غلاف الكتاب وعلى ظهره وفي داخله.

---

[1]-مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (عتب)، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، ص-ص 581-583.

[2]-عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، تقديم سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م، ص40.

[3]-هانية دهني: العتبات النصية في رواية غفلة مقدام لمحمد مفلاح، مجلة الدراسات الأكاديمية، المجلد 3، العدد3، 2021م، ص204.

[4]-عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص (دراسة في مقدمات النقد العربي القديم)، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، دط،2000م، ص21.

1- أشكال حضور التراث في عتبات الرواية الجزائرية المعاصرة:

1-لوحة الغلاف:

يعتبر الغلاف الواجهة التي يقدم بها الروائي نصـــه لجمهوره، وهو «العتبة الأولى التي تصافح بصر المتلقي، لذلك أصبح محل عناية واهتمام الشعراء الذين حولوه من وسيلة تقنية معقدة لحفظ الحاملات الطباعية إلى فضـــاء من المحفزات الخارجية والموجهات الفنية المساعدة على تلقي المتون»[1]، إلى جانب ذلك تعد لوحة الغلاف عتبة أساسية للترويج للرواية لا تقل شـــأنا عن العتبات الأخرى، بل يمكن القول إنها أهمها جميعا، لما لها من دور فعال في إثارة القارئ وتشويقه لتلقي النص وكذا تحفيزه على الاكتشاف والمعرفة

وتطالعنا الكثير من الروايات الجزائرية المعاصرة بالعديد من الأغلفة الإغرائية التي تجذب القارئ من الوهلة الأولى خاصة تلك التي نهلت من التراث عناصرا لتشكيلاتها كما هو الشأن بالنسبة لرواية "**البيت الأندلسي**" لـواسيني الأعرج

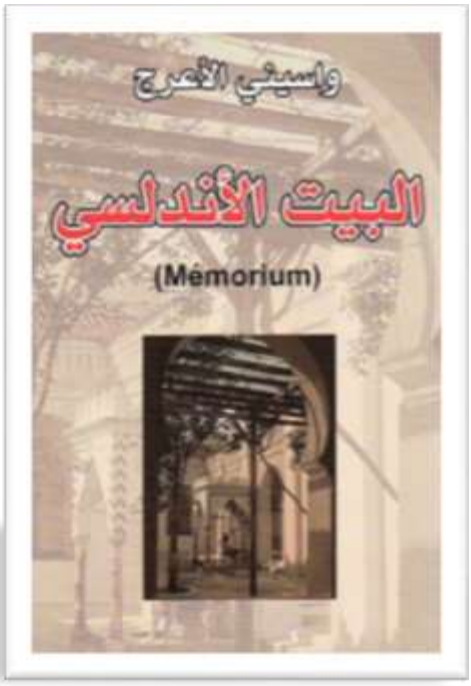

اختار صورة لبيت من البيوت الأندلسية التي تتميز بجمال هندستها المعمارية لوحة لغلاف روايته، وقد جاءت هذه اللوحة معبرة عن عنوان الرواية وعن مضمونها في الوقت نفسه، إذ عمد الروائي إلى جعل أحداث روايته تدور في بيت من البيوت الأندلسية القديمة مركزا على تفصيلاته وصفاته وخصائصه العامة من فناء وأروقة وحديقة، وكذا عدد الطوابق وغرف النوم و المطبخ والأرضية والبلاط ...إلخ.

[1] عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص المرجع نفسه: ص 21.

تتضح من خلال لوحة الغلاف تفاصيل بيت أندلسي جميل ذو فناء واسع تحفه أشجار وأنواع من الأزهار الجميلة ذات الألوان الزاهية ،والتي تخلق في نفس الناظر إليها حالة من الانتعاش والراحة والاستقرار، وفي طبعة أخرى للرواية اختار الروائي بيتا من الطراز الأندلسي العتيق يشتمل أيضا على فناء مفتوح ذو أعمدة، وأمام مدخل البيت تمثال على هيئة حصان مما يوحي بأصالة المكان، كما يبدو البيت خاليا لا حياة فيه نتيجة تجمع الأتربة في صحنه وقلة الأشجار وكل عناصر الحياة، وقد كان للغروب الذي ارخى سدوله على فناء البيت دلالة كبيرة على أفول حضارة كانت هناك وقد لفظت آخر أنفاسها على حد تعبير مالك بن نبي.

الملاحظ على البيوت الأندلسية ذات الطراز المعماري التراثي حضور الفناء كعنصر أساسي في تشكيل بنائها، لأنه يعتبر« "وسط الدار" ومحور الحياة الأسرية في الأندلس، حيث كان يعمل على سهولة التواصل وإضاءة وتهوية جميع غرف المنزل، يمكن من تقليل عدد النوافذ المطلة خارج البيت، وقد احتل الفناء الجزء المركزي من مساحة الأرض في المنزل خاصة في المناطق الحضارية، مما أدى إلى خلق جو منعش، وهذا بفضل التبخر الذي يحدث من البركة أو من العناصر الطبيعية المتواجدة عادة وسطه»[1].

وبذلك فالغلاف ليس مجرد إخراج طباعي للنص وإنما هو سند يدعم المتن وعتبة مقصودة من قبل الكاتب غايتها تحقيق تواصل بينه وبين القارئ، لذلك يذهب البعض إلى اعتباره هوية بصرية « ينبغي أن نقبلها كإحدى هويات النص فالغلاف هو أول من يحقق التواصل مع القارئ قبل النص نفسه..فهو الناطق بلسانه يقدم قراءة للنص وبالتالي يضع سمات النص وعلاماته وهويته»[2].

2-العنوان:

من أشهر التعريفات للعنوان ما نقله "عبد الحق بلعابد "عن "لوي هويك" أحد أكبر الباحثين في علم العنونة قوله: «مجموعة العلامات اللسانية، من كلمات وجمل وحتى نصوص، قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه، تشير لمحتواه الكلي، ولتجذب جمهوره المستهدف»[3]

---

[1]- سليم حاج سعد: تطور المنزل الأندلسي حتى نهاية عصر الموحدين، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، العدد 4، ديسمبر 2020م، ص101.

[2]-حسن نجمي: شعرية الفضاء السردي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م، ص11.

[3]-عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) ،ص67.

وتكمن أهمية العنوان في كونه « المفتاح الضروري لسبر أغوار النص، والتعمق في شعابه التائهة، والسفر في دهاليزه الممتدة، كما أنه الأداة التي بها يتحقق اتساق النص وانسجامه وبها تبرز مقروئية النص وتنكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة»[1] .

وقد آثر الروائيون الجزائريون المعاصرون اعتماد استراتيجيات معينة في اختيار عناوينهم تنطلق من مرجعيات فكرية وتراثية كثيرا ما كانت ممزوجة بالواقع والتاريخ والمكان، ومن العناوين المستوحاة من الثراث نجد رواية "عز الدين جلاوجي" التي بعنوان " علي بابا والأربعون حبيبة"،

ويتضح جليا من خلال هذا العنوان أن هناك تناصا مع قصص "ألف ليلة وليلة" وبالضبط مع قصة" علي بابا واللصوص الأربعون " وهي قصة معروفة للقاصي والداني ، إلا أن الروائي قد لجأ إلى حيلة سردية حتى يوقع القارئ في شباكه ويشده إلى نصه، إذ أحدث استبدالا خفيفا لكنه ذكي حين وضع أربعون حبيبة بدل الأربعون لصا ولا أدل على ذلك كتابة كلمة "حبيبة" باللون الأحمر دون غيرها من كلمات العنوان.

ولم يفصح الروائي عن سر العنوان إلا في الصفحات من (134-275) حين عرض ما حدث لعلي بابا مع ملكة الجن، التي عرضت عليه أن يتزوج أربعين جنية مقابل أن يستعيد عقد زوجته بدر البدور، تقول الرواية «

[1]- جميل حمداوي السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب الكويت ،المجلد 25،العدد 3، يناير-مارس 1997م،ص 8.

- نزوجك فتياتنا، فينجبن منك خلقا فيهن الجن والإنس...العد يبدأ عندنا من الأربعين،والواحدة منا تنجب المئة..لا أريد نقاشا، استعد من الغد،ستكون عريسا على الأربعين الأولى»[1].

لقد كان للتراث حضور بارز في رواية " علي بابا والأربعون حبيبة" إن على مستوى العنوان أو على مستوى المتن فهذا الأخير قد جاء داعما لعنوانه ،إذ يزخر بالكثير من المتون التراثية والأسطورية وكذا الكثير من النصوص الشعبية المحلية (أغاني، أمثال، أشعار)،ونصوص ثقافية عالمية(شكسبير) ،وكل هذه المعارف قد أسست لمسردية متميزة تتكئ على مرجعية تراثية "ألف ليلة وليلة" وتطرح إبدالات شعرية مبنية على التطابق أحيانا والانزياح أحيانا أخرى.

3-التصدير:

يعرف "جينت" التصدير بكونه « اقتباس يتموضع (ينقش) عامة على رأس الكتاب أو في جزء منه»[2]،من خلال هذا التعريف يمكننا القول إن التصدير نوعان: تصوير بدئي أو قبلي، وتصدير نهائي أو بعدي، إلا أن المتعارف عليه والمعمول به منذ القديم أن يكون التصدير قبل النص، وهذا هو الأصل لأننا نقول "صدر الشيء" بمعنى أوله كذلك يمكن أن يكون التصدير في أول الفصول أو الأجزاء أو المباحث وعادة ما يتموضع على رأس الصفحة الأولى لكل فصل أو جزء أو مبحث .

أولى الروائيون اهتماما خاصا بالتصدير؛ إذ قلما نجد عملا إبداعيا يفتقر إليه، فحضوره بات ضروريا، و«يعتبر مجرد الحضور البسيط للتصدير أهم وظيفة له، وإن كان له وظائف أخرى كالتعليق»[3]،وقد تباينت طرائق توظيفه في الأعمال الروائية، إذ يفضل الكثير من الروائيين الجزائريين المعاصرين تصدير رواياتهم بأقوال شخصية يهدفون من خلالها إلى تمرير أفكارهم وتقريب رؤاهم للقارئ حتى لا تحيد نصوصهم عن مقصديتها، أما الذين استحضروا التراث في تصديراتهم فهم قليلون جدا، يمكن التمثيل لذلك برواية "**تلك المحبة**" للحبيب السايح،

---

[1]-عزالدين جلاوجي: علي بابا والأربعون حبيبة، دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،2023م، ص(138،137).

[2]-عبد الحق بلعابد :عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)،ص 107.

[3]-سليمة عذاوري: شعرية التناص في الرواية العربية (الرواية والتاريخ)،دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1، 2012م،ص97.

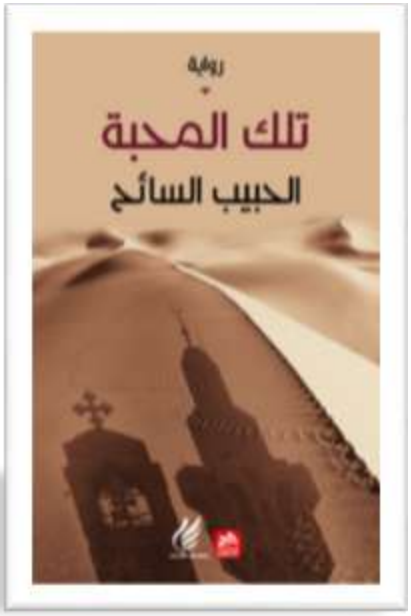

إذ اعتمد فيها على تصديرين من التراث الأول شعري، وهو بيتين "للخيام" يقول فيهما:

يا قلب كم تشقى بهذا الوجود * وكل يوم لك هم جـــديد**

وانت يا روحـــي ماذا جنت * نفسي وأخراك رحيل بعيد**

لم يذكر الروائي من أين أخذ هذين البيتين، ولا الصـــفحة وذلك راجع إلى شـــهرة الخيام ورباعياته، فهذه الأخيرة هي أثره الشـــعري الخالد الذي عرف به، **مما** لاشـــك فيه أن اســـتحضـــار الروائي لرباعية الخيام كتصـــدير لروايته لم يكن عفويا أو اعتباطا، بل هو أمر مقصـــود من لدنه، لهذا لا مناص من إيجاد تأويل مقنع لهذا التصـــدير وذلك مكن خلال ربطه بالمتن الروائي، لأن الروائي لا يكون خالي الذهن إبان اسـتحضـاره «فينهض التصـدير بدور التنبيه إلى ما عسـى أن يرد في المتن الأقصوصي» [1].

إذا انطلقنا من فكرة أن التصـــدير عادة ما يأتي ليوطد العنوان أو يقدم للقارئ تصـــورا مبدئيا لمضـــمون النص، فإننا لا نجد تقاربا كبيرا بينه وبينهما، فيتبادر إلى ذهننا أنه لا صـــلة للعنوان بالتصـــدير ولا بالمضـــمون، ولكن إذا دققنا النظر نلمس خيطا رفيعا بينهم، فإن كان التصـــدير تنبعث منه رائحة الزهد والتصـــوف فإن فاتحة النص جاءت مكملة له، فقد افتتح الروائي روايته بقوله: «اسـتغفر الله وارتجي الشـفاعة من حبيبه، وابتغي مرضـاة الأقطاب والأولياء والأئمة والأوتاد والحكماء والصالحين والصوفية والزهاد... » [2].

---

[1]-المرجع السابق ،ص122.

[2]- لحبيب السايح : تلك المحبة، دار فيسيرا للنشر، الجزائر، ط1، 2013م ،ص 13.

كذلك العنوان "تلك المحبة" لم يبتعد هو الأخر عن مضمون التصدير فالمحبة من المصطلحات التي شغلت الصوفية، بل هي أساس التصوف، وأعلى درجاته، وكان لها حضور جلي في أدبهم، والمحبة عند الصوفية قوامها تعلق الروح والقلب والعقل والنفس بحب الله وحده دون سواه، لنيل رضاه وقربه، وقد كان لهذا المفهوم حضور في النص الروائي كما في هذا المقطع على لسان شيخ صالح: « من أراد الأخرة سعى نحوها بقلب خال إلا من حب الخالق الذي يعوض في الجنة بما لم يهف اليه فؤاد من قبل، وبما لم تمحوه اي لذة فانية، حيث لا عجز ولا شيب ولا طمث ولا ملل»[1] .

أما التصدير الثاني فجاء عبارة عن مقطع نثري لأبي حيان التوحيدي مقتبس من كتابه "البصائر والدخائر" وهو كتاب ضخم احتوى على(2747) صفحة، وقد وظفه الروائي دون أن يذكر اسم الكتاب ولا الصفحة التي أخذ منها يقول فيه أبو حيان التوحيدي (ت 414ه) ،« إياك أن تعاف سماع هذه الأشياء الجارية على السخف، فإنك لو أضربت عنها جملة لنقص فهمك، وتبلد طبعك ولا يفتق العقل شيء كتصفح أمور الدنيا ومعرفة خيرها وشرها وعلانيتها وسرها»[2] .

هذا القول يصح اعتباره "تنويها"، يقصد الروائي وضعه في الصفحة التي تسبق النص مباشر، حتى يضع القارئ في حسبانه أن كل ما يرد في النص ذا قيمة، لا يصح الإعراض عنه، خاصة وأن حجم الرواية كبير –يشعر القارئ بالارتباك- (444 صفحة) ، كما تحتوي على الكثير من المقاطع التي تغلب عليها الخرافة والأساطير والخوارق، وقد صرحت الرواية بذلك في فاتحتها على لسان الراوي : « أحدث عما يقر في سمع عن الغوابر والحوادث، ما كان الانسان منها قد فعل، او الجان قد صنع فبين وطن هذا وذاك عرق من الرمل يمتد برزخا، كلما هبت الريح مرطته فألقى بعض ذاك ببعض هذا وحدثت الخوارق»[3].

4-الهوامش:

تعتبر الهوامش عتبة محفزة على إنتاج معنى إضافي للمتن، ولكنها لا تخرج عنه بل هي مرتبطة به ارتباطا وثيقا، يعرفها "جنيت" بأنها « إضافة تقدم للنص قصد تفسيره، أو توضيحه أو التعليق عليه بتزويده بمرجع يرجع إليه،تتخذ في ذلك شكل حاشية الكتاب أوالعنوان الكبير في الصحافة بملاحظاتها وتنبيهاتها القصيرة والموجزة الواردة في أسفل صفحة النص، أو في آخر الكتاب تخبرنا عما يدور فيه»[4]، وتجدر الإشارة إلى أن عتبة الهامش لم تحظ

---

[1]- المرجع نفسه ، ص349.

[2]-أبو حيان علي بن محمد التوحيدي: البصائر والدخائر،دار صادر للطباعة وللنشر،بيروت،ج1،ط2، 2007م ،ص 60.

[3]- لحبيب السايح : تلك المحبة ،ص 13.

[4]-عبد الحق بلعابد: عتبات(جيرار جينيت من النص إلى المناص)،ص127.

بالعناية الكافية من قبل الروائيين الجزائريين على غرار باقي العتبات النصـية،كون الرواية تشغل مساحة نصية شاسعة كافية للإفصاح عن مدلولاتها من داخلها دون الاتكاء على نص موازينهض بتلك المهمة، ولكن هذا الحكم لا يمكن تعميمه على كل الروايات المعاصرة ، فمثلا يحضر التهميش في بعض روايات " الحبيب السايح" ، كما في رواية " كولونيل الزبربر"،

عمد الروائي إلى استحضار قصيدة من التراث الشعري الشعبي المشهورة في الجزائر والتي عنوانها "راس بن نادم" أو "راس المحنة" ،وهي تنسب لأكثر من شاعر ،أشهرهم "لخضر بن خلوف" وقد غناها أكثر من مطرب وأشهرهم "البار عمر" ،وفي الحقيقة هذه القصيدة أو الأغنية تنقل وقائع حكاية شعبية جزائرية اختلفت الروايات في سردها ،ويجمع الدارسون للأدب الشعبي في الجزائر على أنها « عبارة أسطورة شعرية جزائرية ،تحكي عن رجل ذهب للحج، وفي الطريق تاه عن القافلة ،وتعرض لقطاع الطرق وقتلوه ، وهو الهاشمي بن نونة ابن سيدي المختار، تركوه ملقى على الأرض ،وبقي جثة في العراء ،حتى مرت مجموعة من أهل الخير فقامت بدفنه ،بقي في قبره 60 عاما، حتى سقطت الأمطار وحدث الفيضان بالوادي وحمل .ليقذفه خارج القبر وبقي رأس سي الهاشمي ثلاث سنوات في العراء ،ثم سرعان ما يعثر عليه أحد الشيوخ من أهل الصوفية ،حيث دار بين الشيخ وذلك الرأس حديث طويل ،في شكل حوار، بسؤال وجواب كانت الأسئلة طويلة ،من يكون ، وما هو جنسه، أهو رجل أو امرأة ومن أين جاء أم أنه غريب الديار، وهل هو سلطان أم مملوك ... لم يلبث أن نطق ذلك الرأس ، وقص على الشيخ ما حدث له ... »[1].

اعتماد " السايح" مقاطع من الأغنية التراثية "رأس المحنة" كخواتيم لفصول الرواية ،إذ تضمنت الصفحة الأخيرة من كل فصل هامشا ضم مقطعا من هذه الأغنية ، بحيث تلاءم

[1] - فيصل شاطر: رأس المحنة أسطورة بن خلوف الشعرية : الموقع الالكتروني https://w.w.w.nafhamag.com:

مضـــمون المقطع والتجربة المعبر عنها في كل فصـــل، فجاءت بذلك الأغنية ملتحمة مع النســـيج النصي للرواية سـواء على مسـتوى البناء أو على مسـتوى الشـعور، "فكولونيل الزبربر" وهو يدون مذكراته كان يســـتمع لأغنية "البار عمر" "رأس المحنة" وكذلك ابنته "الطاوس" وهي تقرأ مذكرات أبيه كانت تستمع للأغنية نفسها وذلك بطلب منه ،تقول الساردة :" للحقيقة ، فإني فتحت ملفين كان الثاني يحمل هذا التنبيه« تصـورت دائما أني تركت جمجمتي ورائي في جبل الزبربر فعثر عليها شـاعر "راس بن ادم" فكلمها. كنت ، وأنا أسـجل ما قد تقرئينه ،أسـتمع لصـوت البار عمر الملوع بحرقة سؤال الموت عن الحياة .أعرف أنك ستقرنين القراءة بالسماع »[1].

يمكننا أن نمثل لذلك بهذا المقطع من الأغنية الذي ورد في نهاية الجزء 2 من الفصـــل 4 ، وفيه تحدث الروائي عن تفاصـــيل إعدام العقيد "شـــعباني" ،تقول الأغنية: "تلاقيت أنا والركب وتفارقنا خرجوا عني ذا الظلام قتلوني" ، إن هذا المقطع من الأغنية جاء منسجما تماما ومضمون هذا الجزء من الرواية ، وأنت تقرأ في المقطع تحس وكأن العقيد شـعباني من يتكلم ويتحسـر على نهايته ويدافع عن نفسه بأنه قد قتل ظلما وجورا.

لقد أدرك " السـايح" بحسـه المتميز، أهمية توظيف "التراث الشـعبي" في أعماله للتعبير عن هموم الحاضـر وتصـدعاته ،فكان اسـتحضـاره للأغنية الشـعبية "راس المحنة" متفردا، بحيث أحسـن اختيار المقاطع الغنائية التي تتلاءم والحدث الروائي المتحدث عنه ،ونلمح حسـن الاختيار في قيام الروائي بتوظيف اثنان وثلاثون (32) مقطعا فقط من بين سـتة وتسـعين (96) مقطعا ، بالإضـافة الى أن توظيفه لم يكن وفق تسـلسـل هذه المقاطع في القصـيدة ، وإنما قدم وأخر في بعض المقاطع، وحذف بعضـها ، وبذلك جاءت المقاطع الموظفة مطابقة تماما للسـياق الروائي الذي وردت فيه .

الخاتمة:

- أسست الرواية الجزائرية المعاصرة نصوصا روائية تحمل خصوصية انفتاحها على العديد من الخطابات ذات المرجعيات المختلفة (الدينية والتاريخية والسياسية والأدبية) وخاصة التراثية وقد مكنها هذا الانفتاح من دعم مواقف أصحابها واختزال رؤيتهم لبعض القضايا التي حدثت وتحدث في الواقع، كما أبانت عن قدراتهم الكبيرة على تفجير طاقاتهم الإبداعية واستثمار ثقافتهم الموسوعية بما يخدم فعل الكتابة والقراءة معا.
- أولى "واسـيني الأعرج " عتبة الغلاف أهمية بالغة إيمانا منه بأنها جزء لا يتجزأ من العمل الإبداعي، وأن قيمتها تتعدى كونها نصـوصـا محاذية للنص، بل تتجاوزها إلى التأثير في

[1] - الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، دار الساقي، بيروت ، لبنان، ط1، 2015م ، ص 17.

القارئ وتوجيه فعل القراءة لديه، وقد لمسنا وعيه الكبير بها من خلال حسن اختياره للوحات أغلفة أعماله الروائية، إذ عمد في كثير من الأحيان إلى استحضار لوحات فنية مستلهمة من التراث في محاولة منه إلى إعادة الحياة إليه بكل ما يكتنزه من دلالات.

- يحضر العنوان التراثي في "علي بابا والأربعون حبيبة" باعتباره عتبة مفتاحية أساسية، تسمح بالولوج إلى أغوار النص واستنطاق بنياته الدلالية؛ وقد عمد "جلاوجي" عند اختياره لهذا العنوان إلى صنع المفارقة على مستوى التركيب وسعى إلى تكثيف الدلالالة على مستوى المضمون، إذ لا يحمل دلالات جاهزة وإنَّما تتحقق دلالاته باقتحام عالم المتن، فهو يمارس غوايته على القارئ ويحرضه على قراءته.
- وفقت رواية "تلك المحبة" في تأثيث نصوصها الموازية بتصديرات تراثية موحية تنم عن اكتمال الرؤية عند صاحبها، كونه وفق في اختيار مصادرها من أمهات الكتب القديمة القيمة التي طالها النسيان.
- نجح "الحبيب السايح" في "كولونيل الزبربر" أن يخترق مختلف العوالم التراثية من خلال جعلها مادة طيعة للتوظيف ،بحيث استطاع استحضارها بطريقة متميزة جاعلا منها هوامش لمتنه الروائي،وقد تمكن من بعث الحياة في مختلف أشكالها إذ جعلها جزءا ملتحما ومتمازجا ضمن بناء نصه، محققا المتعة الفنية من جهة ومفجرا للدلالات والإيحاءات الخفية من جهة أخرى.
- **قائمة المصادر والمراجع:**

1- ابن منظور: لسان العرب ،دار صادر، بيروت، لبنان ،ط1 ،1992م.

2- أبو حيان علي بن محمد التوحيدي: البصائر والدخائر، دار صادر للطباعة وللنشر،بيروت،ج1،ط2، 2007م.

3- إدريس قرقوة: التراث في المسرح الجزائري، دراسة في الأشكال والمضامين، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ،ج1،ط1.

4- بلحيا الطاهر :الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا الى ما بعد الحداثة (جذور السرد الغربي) دار الروافد الثقافية :ابن النديم للنشر والتوزيع ط1 ، 2017.

5- جميل حمداوي :السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب الكويت ،المجلد 25،العدد 3، يناير-مارس 1997م.

6- حسن غزيل: إشكالية التراث، مجلة الإتحاف ، العدد 72،أكتوبر 1996م.

7- حسن نجمي: شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب، ط1، 2000م.
8- سليم حاج سعد: تطور المنزل الأندلسي حتى نهاية عصر الموحدين ، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، العدد 4، ديسمبر 2020م.
9- سليمة عذاوري: شعرية التناص في الرواية العربية (الرواية والتاريخ)،دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1، 2012م.
10- عبد الحق بلعابد: عتبات(جيرار جينيت من النص إلى المناص)، تقديم سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م.
11- عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص(دراسة في مقدمات النقد العربي القديم)، أفريقيا الشرق، بيروت ،لبنان،دط،2000م .
12- عز الدين جلاوجي: علي بابا والأربعون حبيبة، دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،2023م.
13- فيصل شاطر : رأس المحنة أسطورة بن خلوف الشعرية، الموقع الالكتروني https://w.w.w.nafhamag.com
14- لحبيب السايح : تلك المحبة، دار فيسيرا للنشر، الجزائر، ط1، 2013م .
15- لحبيب السايح: كولونيل الزبربر، دار الساقي، بيروت ، لبنان، ط1، 2015م.
16- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (عتب)، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م.
17- محمد عابد الجابري: التراث والحداثة(دراسات ومناقشات)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1991،1م.
18- نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1.
19- هانية دهني : العتبات النصية في رواية غفلة مقدام لمحمد مفلاح، مجلة الدراسات الأكاديمية، المجلد 3،العدد3، 2021م.